مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال الرسل ١: ١–٨)

إنّي قد أنشأتُ الكلامَ الأوَّلَ يا ثاوفيلُسُ في جميعِ الأمورِ التي ابتدأ يسوعُ يعملُها ويعلِّمُ بها* إلى اليومِ الذي صعِدَ فيهِ من بعدِ أنْ أوصى بالروحِ القُدُسِ الرُّسلَ الذينَ اصطفاهم* الذين أراهم أيضاً نفسَهُ حيًّا شبعد تألُّمِه ببراهينَ كثيرةٍ وهو يتراءى لهم مدَّةَ أربعينَ يوماً ويُكلِّمهم بما يختصُّ بملكوتِ اللهِ* وفيما هو مجتمِعٌ معشهم أوصاهم أن لا تبرَحوا من أورَشليمَ بل انتظِروا موعِدَ الآبِ الذي سمِعتُموهُ مني* فإنَّ يوحنا عمَّدَ بالماءِ وأمَّا أنتم فستُعمَّدون بالروحِ القدسِ لا بعدَ هذه الأيام بكثيرٍ* فسألَه المجتمعون قائلينَ يا ربُّ أفي هذا الزمان تردُّ المُلْكَ إلى إسرائيل* فقال لهم ليسَ لكم أن تعرفوا الأزمنةَ أو الأوقاتِ التي جعلها الآبُ في سلطانه* لكنَّكم ستنالون قوَّةً بحلولِ الروح القدس عليكم

معنى قيامة المسيح

«المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت، ووهب الحياة للذين في القبور». اليوم نعيّد لقيامة مخلّصنا يسوع المسيح، وكل الخليقة تفرح وتتهلل ممجّدة الله ومتذوّقة عظمة قيامة السيد المجانية. بالنسبة للمسيحيين، قيامة المسيح ليست مجرد احتفال بذكرى حدث ما تمّ في التاريخ منذ ألفي سنة. انها حدث يحياه الإنسان كل يوم في الكنيسة، لأن إيماننا وحياتنا وأعمالنا باطلة إن لم يكن المسيح قد قام (١ كور ١٥: ١٤).

إن المسيح وهب الحياة للذين في القبور، فمَن هم هؤلاء الذين في القبور؟ نحن أيضاً كنا في القبور وليس فقط الراقدون. قبل قيامة الرب، كلٌّ منا كان في قبره الخاص، لأن طبيعتنا الساقطة كانت مستعبدة للفساد وللخطيئة وللموت. إثر سقوط الإنسان الأول، أصبح كياننا معجوناً بالفساد والموت، وعندما نتكلّم على «الموت» لا نعني الموت الفيزيولوجي فقط لكننا نقصد كل ابتعاد عن الله الحي. الله هو حياة العالم، الله هو حياتنا الخاصة، وابتعادنا عن الله الحي هو موت.

نحن نحيا في هذا العالم المحكوم بالفساد، ويكفي أن يستمع المرء إلى نشرات الأخبار ليفهم إلى أين يسير العالم. في هذه الأيام، ومع سرعة التطوّر، بتنا نستطيع أن نطّلع على كل ما يدور حولنا. ها السوء والألم والمآسي والموت وصعوبة مسيرة الإنسان ترتسم أمام أعيننا يومياً. لعل هذه الأيام هي التي تكلّم عنها الرب يسوع: «سوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. أنظروا لا ترتاعوا، لأنه لا بد أن تكون هذه كلها، ولكن ليس المنتهى بعد» (متى ٢٤: ٦).

العدد ٢٠١١/١٦

الأحد ١٥ نيسان

الفصح المقدس

المسيح قام – حقاً قام

إن الإنسان يحيا كل يوم تحت وطأة الخطيئة والألم والموت. من هنا على الكنيسة أن تعطي جواباً للذين يعيشون هذه الصعوبات. الجواب الوحيد هو قيامة المسيح التي إن استطعنا أن نختبرها في حياتنا الشخصية، ننقل خبرها لمن هم حولنا. إن السيّد حين قام من بين الأموات لم يظهر للعالم كلّه مباشرة. ظهر أولاً لحاملات الطيب، ثم التقى الرسل تباعاً فعاينوه قائماً، ثم نشروا خبر القيامة تدريجياً في كل العالم.

وتكونونَ لي شهوداً في أورَشليمَ وفي جميعِ اليهوديَّةِ والسامرةِ وإلى أقصى الأرض.

الإنجيل

(يوحنا ١: ١–١٧)

في البدءِ كان الكلمةُ والكلمةُ كان عند الله وإلهاً كان الكلمة* هذا كان في البدءِ عند الله* كلُّ به كان، وبغيره لم يكن شيءٌ مما كُوّن* به كانتِ الحياة والحياةُ كانت نورَ الناس* والنورُ في الظلمة يُضيءُ والظلمةُ لم تدركْهُ* كان إنسانٌ مُرسَلٌ من الله اسمُهُ يوحنا* هذا جاءَ للشهادة ليشهدَ للنور. لكي يؤمنَ الكلُّ بواسِطتِه* لم يكنْ هو النور بل كان ليشهدَ للنور* كان النورُ الحقيقيُّ الذي يُنير كلَّ إنسانٍ آتٍ إلى العالم* في العالمِ كان والعالمُ به كُوّنَ والعالمُ لم يعرفْهُ* إلى خاصَّته أتى وخاصَّتُه لم تقبَلْه* فأمَّا كلُّ الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يكونوا أولاداً لله الذين يؤمنون باسمه* الذين لا من دمٍ ولا من مشيئةِ لحمٍ ولا من مشيئةِ رَجُل لكنْ منَ الله وُلدوا* والكلمةُ صار جسداً وحلَّ فينا (وقد أبصرْنا مجدَهُ مجدَ وحيدٍ من الآب) مملوءاً نِعمةً وحقاً* ويوحنا شهِد له وصرخ قائلاً هذا هو

هذا الجواب الذي تعطيه الكنيسة لمشاكل الإنسان المعاصر يستفيد منه أولاً كلٌّ منا عندما يقبله في وجوده الخاص. يفترض بنا أولاً قبل أن نبشّر الآخرين أن نتذوق قيامة المسيح وأن نتيقّن أن هذه القيامة هي فرح كلّ العالم. رغم ذلك يسأل كثيرون: لماذا لا ييأس الإنسان؟ وما هو رجاؤه؟ هل توجد حالاتٌ تختفي فيها كلّ المشاكل والأحزان والأمراض والموت، وتتوقف فيها مسيرة العالم نحو الشرّ؟ إن رجاء العالم لا يكمن في توقف المساوئ. المسيح هو رجاؤنا وفرحنا وسلامنا. هذا السلام لا يعني بالضرورة توقّف الحروب. حتى بعد مجيء المسيح على الأرض بألفي سنة لم تتوقف الحروب. السلام الذي بشّر به الملائكة في ميلاد السيد لم يكن غياب الحرب بل حضور المسيح في العالم. هذا هو سلامنا.

بعد قيامته من بين الأموات أظهر المسيح ذاته لتلاميذه وأكّد لهم أنه ليس خيالاً: «إنّي أنا هو! جسّوني وانظروا، فإنّ الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي» (لو ٢٤: ٣٩). إذاً المسيح القائم ليس روحاً ولا خيالاً ولا فكراً ولا تعليماً ولا فلسفةً ولا كتاباً، إنّه السيّد نفسه يسوع المسيح الذي تجسّد من أجلنا. هو قال لمرتا أخت لعازر: «أنا هو القيامة والحياة» (يو ١١: ٢٥). لا تنتظروا اليوم الأخير الذي فيه سيقوم الجميع. إن لم يكن الإنسان قائماً منذ الآن في المسيح، فلن يقوم في اليوم الأخير. كيف سيحيا القيامة مَن يعاني من مرض عضال، أو مَن فقد أحد أعزّائه، أو مَن يختبر كل يوم كم أن طبيعتنا فانية؟ تجيب الكنيسة عن هذا السؤال الغامض من خلال عبارات القديس يوحنا الذهبي الفم: «لا يخفْ أحد من الموت لأنّ مخلّصنا حرَّرنا بموته، لا يبكِ أحد على سقطاته وأخطائه لأنه من القبر أشرق الغفران، لا يبكِ أحد على فقره لأنه أشرق الملكوت الجديد من قبر السيد، قام المسيح ولا أحد ميت في القبور لأنه هو قيامتنا».

ختاماً، نحن أبناء الكنيسة لسنا مجرد أتباع مذهب ما أو فلسفة ما. سنكون سذّجاً إن سمعنا كل ما تعلّمه الكنيسة فقط دون أن نختبره عملياً في حياتنا الشخصية. يقول ربنا يسوع المسيح: «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي» (يو ٥: ٣٩). إنّ السيّد يفرح بالباحثين عنه وبالتائقين لاختبار حياته الأبدية التي يمنحها لنا. فلنسعَ جميعاً أن نحيا حياةَ أبناء الله علَّ المسيح الظافر يجعلنا بنعمته من القائمين من قبر الخطيئة والموت.

قيامة الأجساد

أحداثٌ كثيرة رافقت موت السيد على الصليب حسب ما تروي الأناجيل الأربعة، منها حدوث الزلزلة وانشقاق حجاب الهيكل إلاّ أنّ الإنجيلي متى ينفرد في ذكر قيامة أجساد موتى كثيرين «والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين» (متى ٢٧: ٥٢). هنا نجد أنفسنا أمام إشكالية رافقت التاريخ البشري منذ القديم حول موضوع الحياة الأخرى بشكل عام وقيامة الأجساد بشكل خاص. لطالما خاف الإنسانُ الموتَ لجهله المصير الذي يؤول إليه كلّ من الجسد والروح بعد الممات. من هذا الخوف إنطلقت بعض الحضارات للبحث عن إكسير

الذي قلتُ عنهُ إن الذي يأتي بعدي صار قبلي لأنه مُتقدِّمي* ومن مِلئهِ نحن كُلُّنا أخذنا ونعمةً عوض نعمة* لأن الناموس بموسى أُعطي وأمَّا النعمةُ والحقُّ فبيسوعَ المسيحِ حصلا.

تأمل

اليوم الخلاص للذين يعيشون على الأرض وللذين تحتها منذ الدهر. اليوم خلاص العالم بأسره، المنظور وغير المنظور. اليوم حضور المسيح السيد المزدوج: رأفةٌ مزدوجة، نزولٌ مزدوج مع تنازل، محبّة للبشر مزدوجة، افتقاد للبشر مزدوج. نزل المسيح من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى ما تحت الثرى. أبوابُ الجحيم تُفتح. افرحوا يا مَن ترقدون منذ الدهور البعيدة، الموجودون في الظلام وظلال الموت، تقبّلوا النورَ العظيم. يأتي الرب في ما بين عبيده، الإله في ما بين الأموات، الحياةُ في ما بين الأموات، البريء في ما بين المذنبين. النورُ الذي لا يغرب في ما بين القابعين في الظلام، المحرِّر بين الأسرى، تحت الثرى، هذا الذي هو أعلى من السموات. جاء المسيح إلى الأرض وآمنا بذلك. نزل الحياة، وحضاراتٍ أخرى طوّرت نظريات عن مصير الإنسان بعد الموت ومصير الجسد الذي يتحلّل ظاهرياً. قيامة السيّد أعطت الجواب الأكيد للمسيحيين عن القيامة العامة.

قيامة أجساد الراقدين التي ذكرها إنجيل متى تختلف عن إقامة لعازر الذي كان له أربعة أيام في القبر. يخبرنا متى عن قيامة أشخاص رقدوا منذ زمانٍ بعيد وتحلّلت أجسادهم وقد «دخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين» (متى ٢٧: ٥٣). هنا تأكيد لخبر قيامتهم ودحضٌ لأيّ تشكيكٍ لاحق. نعم قامت الأجساد ويدعو متى قرّاءه إلى التأكّد إذا رغبوا من سكان المدينة المقدسة. هؤلاء رأوا القائمين بأمّ العين وقد تمّت الساعة التي تحدث عنها السيد «تأتي ساعةٌ وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يو ٥: ٢٥).

في العهد القديم، سبق وأخبر حزقيال النبي عن قيامة الأجساد قائلاً «يا ابن آدمَ أتحيا هذه العِظامُ. فقلت يا سيدُ الربُّ أنت تعلم. فقال لي تنبَّأْ على هذه العِظام وقُلْ لها. أيتها العِظامُ اليابسة اسمعي كلمة الرب... فتنبَّأتُ كما أُمِرْتُ وبينما أنا أتنبَّأ كان صوتٌ وإذا رَعْشٌ فتقاربَتِ العِظامُ كلُّ عظمٍ إلى عظمِه. ونظرْتُ وإذا بالعَصَبِ واللحمِ كساها وبُسطُ الجِلْدُ عليها من فوقُ» (حزقيال ٣٧: ٣–٨). هذه هي القراءة التي نقرأها في خدمة جناز المسيح للإشارة إلى ان موت يسوع على الصليب هو مصدر الحياة.

عُرفت القيامة منذ العهد القديم دون أن تأخذ بعداً أخروياً أي دون أن تكون المدخل لحياةٍ أبدية. في العهد القديم نجد ثلاث حوادث لإقامة أمواتٍ قبل دفنهم. إيليا أقام ابن أرملةٍ في صرفت صيدا (٣ ملوك ١٧: ٢٠). وأليشع أقام إبن المرأة الشونمية (٤ ملوك ٤: ١٨–٣٧)، والرجل الذي دُفن في قبر أليشع قام (٤ ملوك ١٣: ٢١). إنها قيامة جسد على غرار ما حدث في إقامة لعازر مع فارقٍ بسيط أن أجسادهم لم تكن قد أنتنت كجسد لعازر.

وفي سفر المكابيين إشارة لقيامة الأجساد في حادثة إستشهاد الإخوة السبعة. يقول الأخ الثاني «ولكن ملك الكون سينهضنا لحياةٍ أبدية» (٧: ٩) أمّا الأخ الثالث فقد عبّر عن الرجاء أنّه مهما اقتطعوا من جسده فإنّه سيعود ثانيةً (٧: ١١).

أما في العهد الجديد فقيامة المسيح هي الحدث المحوري ليس في هذا الكتاب وحسب بل في التاريخ البشري. القيامة ستكون الدافع للكرازة فيما بعد. هي الموضوع الرئيسي في البشارة وهي العزاء الذي أبطل مخافة الموت. المسيح باكورة القائمين، إنحدر إلى الجحيم ليقيم معه الراقدين هناك منذ الدهر. بقيامة المخلّص باتت القيامة أمراً محتوماً لكلّ البشر كما يقول السيد: «سيسمعون صوت ابن الله، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو ٥: ٢٨–٢٩). ما هي هذه القيامة وكيف ستقوم الأجساد بعد قيامة السيد؟ سؤال يراود كل إنسان. النصّ الإنجيلي يخبرنا بأن الرب بعد قيامته لم تعرفه لا المجدلية ولا التلاميذ لأنه كان جسداً مختلفاً، جسداً روحانياً.

المسيح إلى الأموات فلننزل معه ولنتعلّم الأسرار الحاصلة هناك. لنتعرّف إلى العجائب الخفيّة الحاصلة تحت الأرض والتي لله الخفيّ. لنتعلّم كيف أشرقت كرازة المسيح أيضاً على الساكنين في الجحيم.

ماذا أيضاً؟ بنزوله إلى الجحيم هل يخلّص الإله الجميع بدون استثناء؟ لا، لأنه كما على الأرض هكذا أيضاً هناك، يخلّص فقط الذين آمنوا به.

البارحة رأينا مظاهر ضعف المسيح الخلاصي، واليوم نرى مظاهر قوّته. البارحة عايشنا طاعته، واليوم نشهد لسيادته. البارحة ظهرت علامات طبيعته الإنسانية، واليوم العلامات الإلهية. البارحة لطموه، واليوم ببرق لاهوته يشقّ مسكن الجحيم المظلم. البارحة قيّدوه، واليوم هو الذي يُقيّد الطاغية الشيطان بقيود لا تنحل. البارحة حكموا عليه، واليوم يهب الحريّة للمحكوم عليهم بالخطيئة. البارحة استهزأ به خدام بيلاطس، واليوم رآه بوابو الجحيم فارتعدوا.

القديس أبيفانيوس القبرصي

لقد دخل على التلاميذ والأبواب مغلقة، ومع هذا لمسته المجدلية وتناول طعاماً مع التلاميذ. انه الجسد الممجّد الذي لم يحمل من الجسد القديم سوى علامات مجد المسيح نعني بها علامات الصلب على اليدين والرجلين والجنب.

يصف الآباء القديسون وعلى رأسهم يوحنا الذهبي الفم وثيوفيلكتوس موت الجسد بأنّه إحسانٌ من الله. الإناء الذي يتعرّض لبعض الخراب، يُصنع ثانيةً من البداية ليصبح مرّة أخرى جديداً. على هذا الأساس تسمح العناية الإلهية بأن تضع حدًّا للحياة الجسدية كيما تتم في الوقت المناسب إعادة بناء الجسد وتجديده. إنّ المادّة أي الجسد تتحلَّلُ عند الموت ولكن لا تباد. فالإبادة عودةٌ إلى اللاوجود بينما ما يحصل مع الأجساد هو ذوبان وتحوّل إلى عناصر الكون التي أخذ منها تركيبته. هذه المنظومة تتبع قول الرسول بولس «هكذا أيضاً قيامة الأموات يُزرع في فسادٍ ويُقام في عدم فساد... يُزرع جسماً حيوانيًّا ويُقام جسماً روحانيًّا» (١ كور ١٥: ٤٢-٤٤).

إنّ الجسد الذي سنأخذه عند القيامة سوف يشابه الجسد القديم ولكن لن يكون هو نفسه. سيكون هناك هوية مشتركة مع وجود اختلافات. إنّه التماثل والإختلاف الموجودان بين حبّة الحنطة والنبتة التي تنبت منها. يبقى الجوهر نفسه في النبتة ولكن النبتة الجديدة أكثر نضجاً وكمالاً. عندما يموت الجسد يزرع في الأرض فينبت جسداً جديداً بالجوهر نفسه أي الروح: «والذي تزرعه لست تزرع الجسم الذي سوف يصير بل حبَّة مجرَّدة ربما من حنطةٍ أو أحد البواقي ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد» (١ كور ١٥: ٣٧-٣٨). يقابل بولس في رسالته إلى أهل فيليبي بين هذا الجسد المتجدّد وجسد السيد الممجّد «الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (في ٣: ٢١).

بالعودة إلى الذهبي الفم يقول عندما يرى المزارع البذرة تتفسّخ في الأرض حيث زرعها فإنّه يتهلّل، بينما عندما يرى أنّها لم تذب يخاف لأنّ التفسّخ هو بداية الحصاد. هكذا عندما تذوب الأجساد في القبور يجب أن نفرح لأنّها تتفسّخ لكي تثمر في يوم القيامة. لذا واجبٌ أن نبتهج كالمزارع كلّما زرع أحد إخوتنا في الأرض فإنّ الفرح الأرضي زائلٌ كهذا الكون إلاّ أنّ كمال الفرح هو في الموت حيث رجاء الحياة الأبدية.

ينبوع والدة الإله

بمناسبة عيد ينبوع والدة الإله الكلّية القداسة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة من صباح الجمعة ٢٠ نيسان في كنيسة دير دخول السيدة في الأشرفية.

استقبال المهنئين

يستقبل سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس المهنئين بالفصح المقدس يومي الأحد والإثنين في ١٥ و١٦ نيسان من الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر حتى السابعة والنصف مساءً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb